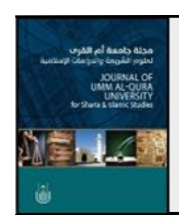


مجلة جامعة ام القرى
لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية
الموقع الإلكتروني: https://uqu.edu.sa/jill



منهج الأنبياء عليهم السلام مع أولادهم في ضوء القرآن الكريم مفهومه وخصائصه (دراسة موضوعية)

The approach of the prophets with their children in the light of the Holy Qur’an, its concept and characteristics, (an objective study)

أحمد بن سعد بن حامد المالكي
الأستاذ المساعد بقسم القرآن الكريم وعلومه كلية الشريعة جامعة الملك خالد بأبها، المملكة العربية السعودية.

Ahmad bin Saad bin Hamid Al-Malki
Assistant Professor in the Department of Quran and its Sciences, College of Sharia, King Khalid University, Abha, Saudi Arabia

تاريخ التقديم: 2022/09/01 تاريخ ارسال التعديلات: 29/ 2022/11 تاريخ القبول: 2022/12/08

Received:01/09/2022 Revised: 29/11/2022 Accepted: 08/12/2022

الملخص

موضوع البحث هو منهج الأنبياء عليه السلام مع أولادهم في ضوء القرآن الكريم مفهومه وخصائصه دراسة موضوعية، ويهدف إلى بيان مفهوم منهج الأنبياء عليهم السلام مع أولادهم كما أخبر به القرآن الكريم، وإلى معرفة خصائص هذا المنهج حتى يتم التأسي به، والدعوة إليه، ومشكلة البحث هي كيفية التوصل إلى بيان المنهج الذي سار عليه الأنبياء عليهم السلام، وبيان خصائصه وهذا يحتاج إلى استقراء تام للقرآن الكريم، وكان من أهم نتائج البحث أن مفهوم منهج الأنبياء عليهم السلام مع أولادهم هو مجموع هديهم وطريقتهم التي ذكرها الله عنهم في كتابه الكريم، وأن لهذا المنهج خصائص أهمها: الثبات والتنوع، والوقاية والتحصين والواقعية، والمشاركة والتفاعلية، والغاية المثلى، وقد بينت المراد من تلك الخصائص، وأنّ من أهم أساليب هذا المنهج هي: الدعاء، والقدوة العملية، والإشعار بالأهمية، وزرع الأمل، وحل المشكلات، وزرع القيم، والمداراة والصبر، وليس في تلك الأساليب أي أسلوب فيه عنف وقسوة، أو سب وتجريح.

الكلمات المفتاحية

منهج،الأنبياء، الأولاد،القرآن الكريم، دراسة موضوعية.

Abstract

The subject of the research is the methodology of the prophets, may God’s prayers be upon them, with their children in the light of the Holy Qur’an, its concept and characteristics, an objective study. Reaching the statement of the approach followed by the prophets, peace be upon them, and explaining its characteristics, and this requires a complete extrapolation of the Holy Qur’an. The most important of which are: persistence and diversity, prevention and fortification, realism, participation and interaction, and the optimal goal. I have shown what is meant by these characteristics, and that among the most important methods of this approach are: supplication, practical example, notification of importance, sowing hope, solving problems, cultivating values, politeness and patience. And there is no method in those methods that contains violence and cruelty, or insult and defamation.

Keywords

Curriculum, Prophets, Children, The Holy Quran, objective study.

معلومات التواصل: **أحمد بن سعد بن حامد المالكي**
البريد الالكتروني الرسمي: asalmalki@kkd.ed.sa

Doi:https://doi.org/10.54940/si27998366

المقدمة

الحمد لله الذي أنعم وهدى، وخلق الزوجين الذكر والأنثى والصلاة والسلام على خير من وطئت قدمه الثرى محمد، وعلى آله، وصحبه، ومن اقتدى، وسلّم تسليماً كثيراً أما بعد:

أهمية البحث: الحاجة الملحة لمعرفة منهج الأنبياء عليهم السلام مع أولادهم كما أخبر بها القرآن الكريم لربط المسلم بكتاب ربه في جميع شؤون حياته، وخطورة بعض المناهج المعاصرة التي تحدد كيفية التعامل مع الأبناء مما يحتم على المسلم معرفة كيفية تعامل القدوات البشرية –وهم الأنبياء– مع أولادهم حتى يقتدي بهم في ذلك.

أهداف البحث: بيان مفهوم منهج الأنبياء عليهم السلام مع أولادهم كما أخبر به القرآن الكريم، معرفة خصائص هذا المنهج حتى يتم التأسي، والعمل به، والدعوة إليه.

مشكلة البحث: كيف أتوصل إلى بيان المنهج الذي سار عليه الأنبياء عليهم السلام وهذا يحتاج إلى استقراء تام للقرآن الكريم؟ كيف أتوصل إلى معرفة خصائص هذا المنهج؟

الدراسات السابقة: لم أجد دراسة علمية بهذا العنوان بعد البحث والسؤال؛ ولكن توجد عدة دراسات تتعلق بالأنبياء وأبنائهم وبلاغة أسلوبهم، وعنايتهم منها :

1/ الأنبياء في القرآن الكريم آباء وأبناء دروس وعبر، للباحثة: نوال بنت ناصر الثويني، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، المجلد (2)، العدد (31)، 2015م.

وهذه الدراسة لا تتعلق بموضوع البحث فلم تذكر مفهوم منهج الأنبياء ولا ذكر خصائص هذا المنهج وليست دراسة موضوعية، بل ذكرت تقسيم الأنبياء إلى آباء وأبناء فتذكر تعريف لكل نبي وصفة من صفاته، وبعض الآيات التي ترتبط به، وتهدف بذلك نشر أروع الأمثلة وأجملها فتذكر الآية التي لها تعلق بموقف بر أو تربية، وتورد بعض أقوال المفسرين والعلماء فيها.

2/ بلاغة أسلوب الحوار القرآني: حوار الأنبياء مع أبنائهم نموذجاً، للباحثة: بدرية سعيد الوادعي، مجلة تدبر، العدد (8)، السنة (4) رجب 1441هـ.

وهذه الدراسة تتناول موضوع الحوار وسماته، وأوردت أربعة نماذج فقط لحوار الأنبياء مع أبنائهم، وذكرت الأسرار البلاغية مقرونة بالفوائد التربوية بمنهج وصفي استنباطي، فهي تهدف لاستخراج الأسرار البلاغية ولم تتطرق لموضوع مفهوم منهج الأنبياء وخصائصه بدراسة موضوعية كما هو موضوع البحث.

3/ عناية الرسل عليهم الصلاة والسلام بأولادهم في ضوء القرآن الكريم، للباحث: حمزة شواهنه، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية، المجلد (19)، العدد (1)، 2022م.

وهذه الدراسة تناولت عناية الرسل بالأولاد وفق المنهج الاستقرائي والاستنباطي وبيان أساليب تلك المعاملة، وسلطت الضوء على النصوص الشرعية التي اهتمت بهذا الجانب، واستعرضت الآيات التي وردت في عناية الرسل بأولادهم وتحليلها للوقوف على مكان العناية، والتعرف على أفضل الأساليب، وقد قسمه على ثلاثة مطالب حيث عرف المقصود بالعناية، وبيّن نظائر هذه العناية بذكر نماذج منها، ثم تكلم عن القيم التربوية المستنبطة، وهذا وإن شارك الدراسة في ذكر بعض الأساليب إلا أنه لم يتطرق أبداً لذكر مفهوم منهج الأنبياء عليهم السلام ولا ذكر خصائصه بدراسة موضوعية.

4/ تربية الأولاد في القرآن الكريم، للباحثة: ليلى محمد العقيل، مجلة العلوم الإسلامية AJSRP، المجلد (4)، العدد (3)، يونيو 2021م.

وهذه الدراسة تتحدث عن بيان طريقة القرآن في تربية الأبناء بمنهج وصفي تحليلي عبر النصوص القرآنية التي تشير إلى ذلك مع الاستشهاد ببعض الأحاديث ومواقف الأنبياء والصالحين، والجوانب العقائدية، والأخلاقية، وحقوق الأبناء فموضوعها عام في تربية الأبناء، وقد تناولت حرص بعض الأنبياء على تربية أولادهم في مطلب واحد، ولم تتطرق لمفهوم منهج الأنبياء ولا لخصائصه بطريقة موضوعية.

الإضافة العلمية في الدراسة الحالية: بيان منهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع أولادهم في القرآن الكريم وذلك من خلال بيان مفهومه وخصائصه، بمنهج دراسي موضوعي.

تبويب البحث:

مقدمة: تحتوي على أهمية وأسباب اختيار الموضوع، وعلى الدراسات السابقة.

خطة البحث: و تحتوي على مبحثين:

المبحث الأول: مفهوم منهج الأنبياء عليهم السلام وتحته مطلبان:

المطلب الأول: تعريف المنهج لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: التعريف بمنهج الأنبياء عليهم السلام.

المبحث الثاني: خصائص منهج الأنبياء عليهم السلام وتحته ستة مطالب:

المطلب الأول: الثبات.

المطلب الثاني: التنوع.

المطلب الثالث: الوقاية والتحصين.

المطلب الرابع: الواقعية.

المطلب الخامس: المشاركة والتفاعل.

المطلب السادس: الغاية المثلى.

الخاتمة: وتحتوي على أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس: وتحتوي على فهرس المصادر والمراجع، والموضوعات.

منهج البحث: انتهجت في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي أي: استقراء جميع الآيات التي لها صلة بموضوع الأنبياء مع أولادهم في جميع القرآن الكريم، والمنهج التحليلي أي: تحليل الآيات ببيان معناها وموضع الاستشهاد منها مستعيناً بأقوال المفسرين، وبغيرهم. والمنهج الاستنباطي أي: استنباط مفهوم منهج الأنبياء في القرآن الكريم من خلال الآيات القرآنية، واستنباط الخصائص لهذا المنهج، والمنهج الموضوعي أي: دراسة موضوع الأنبياء مع أولادهم دراسة موضوعية بحيث جعلت موضوع الأنبياء مع أولادهم هو محل الدراسة في جميع آيات القرآن الكريم.

المبحث الأول: مفهوم منهج الأنبياء عليهم السلام:

المطلب الأول: تعريف المنهج لغة واصطلاحاً:

المنهج لغة:

مأخوذ من النّهج وهو الطريق الواضح الواسع، يقال: طريق نَهْجٌ أي واضح، ونَهَج

الأمرُ وأنهج أي: وضح واستبان.[1] قال تعالى: {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} [المائدة: 48].

المنهج اصطلاحاً:

هو الطريق الواضح في التعبير عن شيء، أو في عمل شيء، أو في تعليم شيء طبقاً لمبادئ معينة، ونظام معين، بغية الوصول إلى غاية معينة.[2]

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

إنّ المعنى اللغوي يطابق المعنى الاصطلاحي ففي كليهما سلوك طريق، أو طريقة لابد أن تكون واضحة بينة غير مبهمة، ولا غامضة، ولا خفية، ولا تحتاج إلى غيرها في البيان؛ بل هي واضحة بنفسها، وموضحة لغيرها، وكذلك لابد أن تكون الطريقة واسعة غير ضيقة، ولا متعرجة، ولا صعبة، ولا أحادية لا تتسع لغيرها فأي طريقة جمعت بين هاتين الصفتين: الوضوح، والوسع فيصح أن يطلق عليها منهجاً، و الطريق والطريقة لا بد لها من غاية، وهدف.

المطلب الثاني :التعريف بمنهج الأنبياء عليهم السلام:

إنّ المراد بمنهج الأنبياء عليهم السلام هو مجموع هديهم، وطريقتهم التي ذكرها الله عنهم في كتابه الكريم، وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بهم قال تعالى بعد أن ذكر أنبيائه: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ} [الأنعام: 90]. أي: بمجموع هديهم.

قال الطبري (ت310هـ): "فبالعمل الذي عملوا، والمنهاج الذي سلكوا، وبالهدى الذي هديناهم، والتوفيق الذي وفقناهم اقتده يا محمد أي: فاعمل، وخذ به، واسلكه، فإنّه عملٌ لله فيه رضًا، ومنهاجٌ من سلكه اهتدى".[3] وهذا الأمر الذي أمر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم يشمل أمته، فهم داخلون في هذا الخطاب قال ابن كثير (ت774هـ): "وإذا كان هذا أمرًا للرّسول صلى الله عليه وسلم فأمته تبعٌ له فيما يشرّعه لهم، ويأمرهم به".[4] وقد اختلف في المراد بهذا الأمر الذي أُمر صلى الله عليه وسلم بالاقتداء به هل يشمل جميع هديهم، أو بعضه؟ وللجواب عن هذا لا بد من تبيين هذه المسألة؛ لتعلقها بموضوع المبحث فأقول: إنّ هذه المسألة معروفة عند الأصوليين بمسألة شرع من قبلنا هل هو شرع لنا؟ وهذه المسألة لها طرفان ووسط: فطرف يكون شرع من قبلنا شرع لنا إجماعًا، وطرف يكون شرع من قبلنا ليس بشرع لنا إجماعًا، ووسط هو محل الخلاف، فأما الطرف الأول فهو ما ثبت أنه شرعٌ لمن قبلنا، وثبت أنه شرع لنا كالصيام، والثاني: وهو مالم يثبت أنه شرع لمن قبلنا كالمأخوذ من الإسرائيليات، أو ثبت في شرعنا نسخه كالآصار والأغلال التي كانت عليهم، أما الواسطة التي هي محل الخلاف فهو ما ثبت بطريق صحيح، ولم يرد في شرعنا ما يؤيده، ولا ما ينسخه، فالأكثر على أنّه شرع لنا، وهذا هو الراجح، وهذا القول هو ما تؤيده الأدلة، فالله أنزل كتابه الكريم؛ لنعمل بكل ما دلّ عليه، وقصّ أخبار الأنبياء عليهم السلام؛ لنعتبر، ونتعظ بها.[5] وبهذا يتضح الجواب على هذا السؤال: فما كان الإجماع على العمل به كهديهم في الاعتقاد وأصول الإيمان، والأخلاق فيجب العمل به، أو كان مما ثبت بطريق صحيح أنّه هدي لهم، ولم يرد في شرعنا ما يقرره، ولا ما ينسخه من فروع شريعتهم، فهذا يُقتدى بهم فيها لا من حيث كونه شرع لهم؛ بل من حيث كونه شرع لنا. وقد قصر الله الاقتداء بهديهم فقال: {فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ} فقدم المفعول على الفعل؛ لكي يفيد تخصيص الاقتداء بهدي الأنبياء عليهم السلام لا بهدي غيرهم[6] إذ لا هدًى يقبله الله و يرضاه إلا هديهم عليهم السلام، وهذا في معنى الإلزام والوجوب، وفي إظهار لفظ الجلالة في قوله: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ } إعطاءٌ لهذا الخبر معنى المهابة، والجلالة[7] حتى يفيد أنّ ما كانوا عليه من الهدى إنما هو من الله، فيستشعر المتلقي جلالة، ومهابة هذا الهدي؛ فيقتدي بهم معظماً لهداهم، وأنه من الله سبحانه وتعالى وفي إفراده عليه الصلاة والسلام بعد ذكر الأنبياء دلالة على أنّ ما تفرق فيهم من الفضائل قد اجتمعت فيه صلى الله عليه وسلم.[8]

وبما سبق يتبين لنا المراد بمنهج الأنبياء عليهم السلام الذي أمر الله نبيه صلى الل عليه وسلم أن يقتدي به، وتتأسى به أمته من بعده.

المبحث الثاني: خصائص منهج الأنبياء عليهم السلام مع أولادهم:

المطلب الأول: الثبات:

إنّ من خصائص منهج الأنبياء عليهم السلام مع أولادهم الثبات، والمراد به الثبات على ما أمر الله به في شأن الأبناء، فهذا نبي الله إبراهيم عليه السلام رأى في المنام أنه يذبح ابنه إسماعيل عليه السلام – وهذا وحي أُختصّ به الأنبياء عليهم السلام دون غيرهم– فثبت على ما أمره الله به، وقال: {يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى} [الصافات: 102] فسارع الابن إلى الامتثال بقوله: { قالَ يا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ } [الصافات: 103] فكانت عاقبة هذا الثبات عاقبة حسنة في الدنيا والآخرة: فقد صدّقه الله في رؤياه، وجعله من المحسنين، وأقرّ له بالصبر على البلاء، وفداه بذبح عظيم، وجعل له ذكراً حسناً في الأمم، وحيّاه ودَعا له بالسلامة من كلّ آفة، وجعله مثلاً لجزاء المحسنين على إحسانهم. إنّ الوصية بالثبات على ما أمر الله به من منهج الأنبياء عليهم السلام مع أولادهم، وأعظم الأوامر هو: الأمر بالتوحيد، ونقاء العقيدة، وخلوصها من الشرك: فهذا إبراهيم عليه السلام قال الله عنه: {وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } [البقرة: 132].

قال ابن كثير (ت774هـ): "لحرصهم عليها، ومحبتهم لها حافظوا عليها إلى حين الوفاة، ووصّوا أبنائهم بها من بعدهم".[9] ولهذا وصّى نبيُّ الله يعقوب عليه السلام

(1) تهذيب اللغة، لأزهري (6/ 41)، الصحاح للجوهري (1/ 346).

(2) مفاتيح التفسير، الخطيب (2/ 874).

(3) جامع البيان، الطبري (391/9).

(4) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (299/3).

(5) ينظر: معالم أصول الفقه، الجيزاني (ص226).

(6) فتح القدير، الشوكاني (2/ 157).

(7) التحرير والتنوير، ابن عاشور (355/7).

(8) مفاتيح الغيب، الرازي (13/ 57).

(9) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (1/ 446).

بها أبناءَه عند موته قال الله عنه: { أَمْ كُنْتُمْ شُهَداءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قالُوا نَعْبُدُ إِلهَكَ وَإِلهَ آبائِكَ إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ وَإِسْحاقَ إِلهاً واحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } [البقرة: 133]، وهذه الوصية في هذه الحال حال الموت إنما تدل على شفقته عليه السلام على بنيه من أن يقعوا في الشرك بعد موته، فأمرهم بالثبات على ما كان عليه آباؤهم من الأنبياء من التوحيد الخالص لله.

وقد عمل بهذه الوصية من أبنائه: يوسف عليه السلام فنفعه الله بها، فثبت حين تزلّ الأقدام، وصبر عن فعل المعصية –وهو أشد أنواع الصبر– ولولا الثبات على التوحيد، والإخلاص لله وحده؛ لوقع فيما دعته لأجله امرأة العزيز، ولخاف من سطوة السجن ورهبته فأجابهم إلى ما دعوه إليه، ولكن ثبته الله لإخلاصه وتوحيده فقال: { كَذلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُخْلَصِينَ } [يوسف:24]؛ ولهذا أخبر الفتيان الّذين معه في السجن بثباته على هذه الوصية فقال: {وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ} [يوسف: 38].

إنّ الثبات على أمر الأبناء بما أمر الله به وعدم التساهل في ذلك لا يقتصر على أمر التوحيد فحسب؛ بل يكون بأمرهم كذلك بالواجبات الشرعية الأخرى فقد أثنى الله عز وجل على نبيه إسماعيل عليه السلام بقوله: { وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا} [مريم: 55] فهو عليه السلام مع ما وصفه الله من صدق الوعد؛ لما وعد أباه بأن يكون من الصابرين، وفّى بوعده عليه السلام، ومع ما بوّأه الله به من النبوة والرسالة، ومن الرضى عنه كان يأمر أهله بالصلاة، والزكاة، وفي التخصيص بهاتين العبادتين دلالة على أهميتهما، وأمره عليه السلام لأهله بذلك لم يكن منقطعاً، أو مرة واحدة؛ بل كان على الدوام، وهذا ما يدل عليه لفظ (كان)، وكذلك كان يأمرهم بهما كل ما جاء وقت هاتين العبادتين، وهذا ما يدل عليه فعل (يأمر) من التجدد والحدوث، فإن كانوا غافلين ذكرهم بها، وإن كانوا ذاكرين لها أكد على أهميتها ولاشك أن الصلاة والزكاة هي على ما كان في شرعه مما أمره الله به من تفاصيل هاتين العبادتين، وليست على ما فصله الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم فهما وإن افترقتا في كيفيتهما إلا أنهما اتفقتا على تشريع أصلهما والذي يهمنا من ذلك أنّ من منهج الأنبياء عليهم السلام مع أولادهم هو الثبات على أمرهم بالشرائع المفروضة عليهم، وتذكيرهم بها كل ما جاء وقتها، وتأديبهم على تركها، فإنّ في ذلك وقاية لهم من النار قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم: 6].

إنّ إسماعيل عليه السلام مع كونه نبياً ورسولاً، فإنّ صلاحه هذا لم يورّثه، ولم يهبه لأهله، وأبنائه؛ بل علمهم كيفية اكتساب الصلاح بالثبات على فعل ما أمر الله، وترك ما نهى عنه.

وقد أمر الله نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم أن يأمر أمّته، –ومنهم أهله، وأبناؤه– بالصلاة قال تعالى: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى} [طه: 132] فإنّ في ذلك الأمر عاقبة حسنة بتوسيع الرزق عليهم في الدنيا، والفلاح في الآخرة، فالصلاة من أسباب التوسعة في الرزق، وهذه العلاقة بين الصلاة، والرزق قد أرشد إليها النبي صلى الله عليه وسلم فكان إذا نزلت بأهله شدة، أو ضيق أمرهم بالصلاة، وتلا هذه الآية.(10)

إنّ من الثبات الذي اختص به منهج الأنبياء عليهم السلام مع أبنائهم هو ما فعله إبراهيم عليه السلام مع هاجر وابنها الرضيع إسماعيل فقد ثبت عليه السلام في تنفيذ ما أمره الله به من إسكانهما في واد لا زرع فيه، ولا ضرع، فقال: {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ} [إبراهيم: 37].

وتأمل عاقبة هذا الثبات كيف أجرى الله بسببه من الفضائل والمكارم ما كان غائباً عن إبراهيم وأهله حال الأمر به، فقد بنيت الكعبة، وجُعل المكان حرماً، وفُرض الحج، وجُعلت أفعاله عليه السلام منسكاً، وجرى ماء زمزم، وجلبت الأرزاق إليها، وجعل من نسله خاتم الأنبياء، وأفضل الرسل صلى الله عليه وسلم .

المطلب الثاني: التنوع:

إنّ من خصائص منهج الأنبياء عليهم السلام التنوع، والمراد بالتنوع هو تنوع المستهدفين من الأبناء: ذكوراً وإناثاً، كباراً وصغاراً، صالحين وغير صالحين، مسلمين وكافرين، أنبياء وغير أنبياء، وكذلك يراد بالتنوع تنوع الأساليب التي تعامل بها الأنبياء مع أولادهم بين وعظ، واقتداء، وترغيب، وترهيب، ومداراة ودعاء، ولا تجد مثل هذا في غير منهج الأنبياء عليهم السلام.

إنّ إبراهيم عليه السلام أبناؤه أنبياء ورسل: إسماعيل، وإسحاق، ومن ذريتهما اصطفى الله الأنبياء والرسل قال تعالى: { وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ } [العنكبوت: 27] والولد الصالح من الأجر المعجّل في الدنيا(11) وقد تنوعت أساليبه عليه السلام معهم: فقد دعا الله أن يجنبهم وإياه الشرك فقال:{وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ } [إبراهيم: 35] ففي ذلك عدم تزكية النفس مهما بلغت في الإيمان والتقوى، وأنه لا عاصم لها من الوقوع في الشرك والضلال إلا الاعتصام بالله تعالى، وفي ذلك الخوف على الأبناء من الوقوع في الشرك، –وهم أنبياء معصومون من الشرك– وفي ذلك إشراك الأبناء في الدعاء، فإنّ صلاح الأبناء ينفع الآباء في الدنيا، وبعد الممات.

---

(10) أخرجه الطبراني في الأوسط (1/ 272) (886)، عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم ((إذا نزل بأهله الضيق أمرهم بالصلاة، ثم قرأ: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا} الآية. قال الطبراني: لا يُروى هذا الحديث عن عبد الله بن سلام إلا بهذا الإسناد، تفرد به معمر. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (7/67) (1117): " ورجاله ثقات".

(11) معالم التنزيل، البغوي (6/ 239).

قال ابن عطية (ت542هـ):"وهذا الدعاء من الخليل عليه السلام يقتضي إفراط خوفه على نفسه، ومن حصل في رتبته، فكيف يخاف أن يعبد صنما؟! لكن هذه الآية ينبغي أن يقتدى بها في الخوف، وطلب الخاتمة ".[12]

ومن أساليبه عليه السلام عمل الأسباب المؤثرة في صلاح أبنائه فلم يكتف بالدعاء دون عمل الأسباب، فقد اختار لهم البيئة الصالحة التي تعينهم على العبادة، وأهم هذه العبادات إقامة الصلاة، وكذلك فقد سأل ربه أن يجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم، وهذا فيه أهمية اكتساب محبة الصالحين في التنشئة على العبادة، وكذلك فقد سأل ربه أن يرزقهم من الثمرات، وهذا كله حتى تتحقق عبوديتهم لله بالشكر على نعمة الإسلام، وعلى نعمة حسن الجوار وعلى نعمة الرزق، وعلى نعمة المكانة، والمحبة بين المسلمين فقال: {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ} [إبراهيم: 37]. وقال: {رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ} [إبراهيم: ٤٠]. وهذا يدل على عظم شعيرة الصلاة في دين الأنبياء عليهم السلام. قال الماتريدي (ت333هـ): "أي: ليس فيه ما يشغلهم عن الصلاة؛ لأنّ الزرع وغيره من النعيم يمنع الناس عن إقامة الصلاة والعبادة لهم، أي: أسكنت من ذريتي بواد ليس فيه زرع يشغلهم عن إقامة الصلاة".[13]

ومن الأنبياء من كان ابنه كافراً فهذا نبي الله نوح عليه السلام كان ابنه كافراً، ولم يكن يعلم بحاله حال نزول العذاب، ويدل على ذلك: أنه لم يسأل الله نجاة امرأته؛ لأنه يعلم أنها من المهلكين، وكذلك لما دعا ابنه نهاه أن يكون مع الكافرين، فلو كان يعلم حقيقة إيمانه؛ لما وصف غيره بصفة تخالف صفة ابنه، ومن الأدلة كذلك مكانة نبي الله نوح عليه السلام فهو اتقى لله أن يخالف ما نهاه الله عنه من المخاطبة في الذين ظلموا فلما نزل العذاب كان أسلوبه معه أن دل ابنه على ما فيه نجاته فقال: { يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ } [هود: 42] لكن الابن ترك الدليل الشرعي، وقدّم عليه الدليل العقلي؛ لكفره واستكباره، فكان من المغرقين، ولهذا سأل الله مع التسليم التام لصدق وعد الله، ولحكمته البالغة، فقال: { رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ } [هود: 45] فأخبره الله بأنه ليس من أهل دينه الذين وعده بنجاتهم معه، وأنه من الكافرين المستحقين للعذاب، ونهاه عن سؤال ما لا علم له به مما استأثر الله بعلم الحكمة فيه، أو عن سؤال المحال الذي لا يقع، ثم وعظه الله أن يكون من الجاهلين بحكمته، أو بصدق وعده، أو بوقوع خلاف ما قدره وقضاه، فقال: { يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ } [هود:46].

وكذلك نبي الله يعقوب عليه السلام فقد كان من أبنائه من هو نبي كيوسف عليه السلام ومن هو متآمر كإخوته وكان من أحفاده من لا يتورع عن وصفه بالضلال، وقد تعامل مع كل هؤلاء بأسلوب مختلف، وطريقة مناسبة، فقد أظهر الخوف على يوسف عليه السلام وذلك بتحذيره من إظهار ما سيكون سبباً في أذاه، فقال له لما قصّ عليه الرؤيا: {قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ } [يوسف: 5]، وكذلك فقد غَرَس الأملَ فيه، وزرع القدواتِ الصالحة –خاصةً القريبة منه– في حياته فقال: { وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } [يوسف: 6].

وتعامل مع أبنائه المتآمرين بالمداراة لهم عند خطئهم مع عدم الرضا به، والصبر على ذلك، والشكوى لله، وقبول اعتذارهم، وسؤال المغفرة لهم عند توبتهم: فإنهم لما ذهبوا بيوسف عليه السلام وأجمعوا على تنفيذ مكيدتهم فيه، وألقوه في غيابة الجب جاؤوا أباهم عشاء يبكون حتى لا يفطن لتصنعهم البكاء، وجاؤوا بدليل ظاهر البطلان، وأخبروه بحقيقة ما يعرفونه من أبيهم من عدم تصديقهم في ذلك حتى ولو لم يأتوا بالدليل الباطل، فرد على مكيدتهم هذه بأن هناك أمر سوء سولته لهم أنفسهم، ونكّره قصداً للتعمية[14] حتى لا يفطنوا لمعرفته بحقيقة أمرهم، فيسوء فعلهم بأخيهم بأن يزيدوا في الانتقام منه، فهذه مداراة منه لهم، ثم أخبرهم بأنّه سيصبر صبراً جميلاً لا شكوى فيه لأحد من الناس، وأن المستعان على ما وصفوه من الحال هو الله فكان أسلوبه في ذلك المداراة، والصبر، وتفويض الأمر لله الذي سيكشف كذب قالتهم وشكايتهم قال: قَالَ { بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ } [يوسف: 18]، وكذلك لما قالوا له: { تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ } [يوسف: 85] فلم يوبخهم على ما فعلوه، ولم يغضب عليهم بوصفهم له بالحرض والهلاك؛ بل قال: { إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ }[يوسف: 86] ، ولما تغير الحال وانكشفت المصيبة، وتابوا، سألوا أباهم أن يستغفر لهم: {قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ * قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [يوسف: 97 – 98] فسألوا من أبيهم أن يغفر لهم، فأخبرهم بأنه سيطلب من الله أن يغفر لهم، وقد ذكر المفسرون سبب تأخيره طلب الاستغفار لهم، وجمهورهم على أن ذلك منه لتحري أوقات الإجابة؛ لا ضنا منه عليهم بالاستغفار؛ فذلك أشبه بأخلاق الأنبياء عليهم السلام. [15]

وتعامل يعقوب عليه السلام مع أبناء أبنائه كذلك[16] لما قفل أبناءُ يعقوب راجعين قال يعقوب عليه السلام: { إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ } [يوسف: 94] أي: لولا أن تنسبوني إلى الكذب، والهرم والسفه[17] لقلت لكم إني لأجد ريح يوسف مقبلة؛ فلما خشي أن ينسبوه إلى الفند لم يقل لهم ما قال، فلما سمعوا ذلك منه كان ردّهم له في غاية الغلظة، والخشونة[18] قالوا: {قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ }[يوسف: 95] فوصفوه بالضلال، وهذا فيه التحرّج من إخبار الجاهل من الأحفاد، وغيرهم بما لا تحتمله عقولهم من القول حتى لا ينسبك بجهله إلى الكذب، والسفه؛ فيقع في العقوق والإثم، فما كان من نبي الله

(12) المحرر الوجيز، ابن عطية (341/3).
(13) تأويلات أهل السنة، الماتريدي (6/ 404).
(14) التحرير والتنوير، ابن عاشور (12/ 238).
(15) زاد المسير، ابن الجوزي (2/ 472).
(16) الكشف والبيان، الثعلبي (15/ 155).
(17) نزهة القلوب، ابن عزير السجستاني (ص163).
(18) مفاتيح الغيب، الرازي (18/ 508)؛ التحرير والتنوير، ابن عاشور (13/ 53).

يعقوب عليه السلام تجاه هذا الجفاء من أبناء أبنائه إلا الإعراض عن الرد عليهم، لعلمه بالله وجهلهم بحقيقة ما يقول.

إنّ هذا الأسلوب في التعامل لمن ابتلي بمثل ذلك من كيد الأبناء بعضهم لبعض مع كبر سنّه وحاجته لهم، وشفقته عليهم، هو الأسلوب الأمثل فالمداراة لهم، وعدم إظهار الميل لأحدهم، والصبر على مكائد بعضهم لبعض، والشكوى لله وحده، مع قبول اعتذارهم عن الخطأ، والدعاء بالمغفرة لهم عند ندمهم على ما فعلوه هو المنهج الأصلح الذي يبقى فيه الأب واصلاً لجميع أبنائه، مرشداً لأخطائهم، وموجهاً لإصلاح ما أفسدوه، معرضاً عن جهل الجاهل، وإن كان تأثيره عليه عظيماً، فارتكاب أدنى المفسدتين لدفع أعلاهما، واحتمال المفسدة المرجوحة لتحصيل المصلحة الراجحة هو ما ظهر من فعل نبي الله يعقوب عليه السلام مع أبنائه.

إنّ هذا التنوع في منهج الأنبياء مع أبنائهم هو منهج رسمه الله للناس من بعدهم للاقتداء بهم، وهذا من حكمته سبحانه وتعالى في جعلهم بشراً حتى يستطيع المتّبع لهم أن يقتدي بهم، ويجعلهم أسوة لهم عليهم الصلاة والسلام .

المطلب الثالث: الوقاية والتحصين:

إنّ من خصائص منهج الأنبياء مع أولادهم هو الوقاية والتحصين والمراد بذلك المنع من الوقوع في الانحرافات بسد الذرائع الموصلة للوقوع فيها، وزرع القيم والمبادئ في الابن حتى يسلم من الوقوع في الانحرافات إذا غاب الرقيب من الوالدين، أو المجتمع الصالح، فالتحصين منع داخلي، والوقاية منع خارجي وكلاهما مهمان في حفظ، وتقويم أخلاق الأبناء، وسلوكياتهم خاصة عند فساد المجتمعات.
إنّ تحصين الأبناء عن التأثر بأخلاق المجتمع الفاسد هو المنهج الذي سلكه نبي الله لوط عليه السلام فقد عاش في مجتمع مشرك لا يدين لله بالوحدانية، {كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ } [الشعراء: 160]، ويجاهر بأرذل الأخلاق وأسفلها، وأحط صور الفواحش وأبغضها، فقد سبقوا العالمين بفعل فاحشة لم تكن في قوم من السابقين: {وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ} [الأعراف: 80]، فقد اكتفى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء،[19] وجمعوا مع ذلك الأذى المتعدي للعابرين من ابن السبيل فيقطعون عليهم الطريق، ويقيمون النوادي للمجاهرة بالأفعال المنكرة قال تعالى على لسان نبيه: { أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ } [العنكبوت: 29].

ولم يقتصر الفساد خارج بيته عليه السلام، فقد كانت زوجته، وهي عجوز قد رضيت بفعلهم، فكانت ترمي زوجها بالجنون، وتخبرهم بأضياف نبي الله لوط عليه السلام، وإن لم تكن تفعل فعلهم؛[20] فلهذا عذبها الله بعذابهم: {فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ } [الأعراف: 83]. ولم يكن لنبي الله لوط عليه السلام قوة من عشيرة يركن إليها، ولا أعوان يعينونه على دفع أذى هؤلاء الأراذل: { قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ } [هود: 80] ، فلم يكن عنده سوى بنات لا يملكن حولاً ولا قوة في دفع تأثير هذه القوة المجتمعية الفاسدة؛

(19) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (6/ 200).

(20) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (23/ 111).

بل انقلبت لدى قوم لوط عليه السلام المفاهيم فأصبح المنكر معروفاً، والمعروف منكراً، والعفة مذمومة يستهزأ بها وبأهلها، والفاحشة ممدوحة يجاهر ويفاخر بها، فقالوا: { أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ} [النمل: 56]، ولم يكتفوا بذلك بل هددوه بالطرد، والنفي: {قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ } [الشعراء: 167].

في هذ الجو الملوث بهذه الأخلاق، والاعتقادات الفاسدة الباطلة، استطاع نبي الله لوط عليه السلام أن يحصّن بناته عن التأثر بهذا الفساد، فأنكر ولم يسكت، وبرئ ولم يرض، وصبر ولم يجزع، ودعا إلى الحق، ولم يكتم، ودعا الله أن ينجيه وأهله مما يفعلون، وصدع بالحق، وجاهدهم بالدفع عما أرادوه بأضيافه، ولم يستسلم، فتأثرت بناته بدعوة أبيهن، فصلحن لصلاح قدوتهن، وتحصّن من التأثر بحميّة أمهن مع قومها فلم يتأثرن بفسادها، وما أشبه حال لوط عليه السلام وأهله، بحال كثير ممن يعيش في مجتمعات فاقت قوم لوط في الفساد، فالمنهج في النجاة من التأثر بفساد هذه المجتمعات على الأبناء هو ما انتهجه نبي الله لوط عليه السلام مع بناته.

إنّ زرع مخافة الله في قلب الابن يجعله ابناً صالحاً، ومصلحاً مهما اختلفت المجتمعات، والأزمنة، وربطه بالدار الآخرة، وبما أعد الله للمتقين فيها يجنبه كثير من الخصومات التي قد تؤثّر عليه في دنياه وآخرته.

ويتضح هذا المنهج في قصة ابني آدم عليه السلام، فقابيل، وهابيل ابناه من صلبه،[21] والآيات وإن كانت لا تذكر رابطاً ظاهراً بين آدم وابنيه إلا أنها تتحدث عن أثر تربية، وتنشئة آدم عليه السلام لهما والظن في نبي الله آدم أنه بذل السبب في إصلاحهما؛ فأصلح له هابيل، ولم يصلح له قابيل، وقرّب الابنان قرباناً فتبقل الله قربان هابيل لتقواه، ولم يتقبل قربان قابيل لعدم تقواه فحسده على ذلك، وعزم على قتله، فبيّن هابيل السبب الذي لأجله تقبل الله قربانه، وأنه لم يكن السبب، ثم أخبره أنه إن بسط يده لقتله، فلن يبسط له يده لقتله؛ لأنه يخاف الله رب العالمين، وكذلك بين له خطورة القتل وأنه سيبوء بإثمين: إثم المقتول، وإثم القاتل، وأن ذلك موجب لدخول النار، والعذاب فيها؛ لأنّه ظلم، وبغي، فلم يرتدع عند ذلك قابيل فقتله، فأصبح من النادمين.
يقول الله تعالى: { وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ* إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ } [المائدة: 27 – 29]. إنّ زرع الخوف من الله في قلب الابن وربطه بالدار الآخرة، يزيد يقينه بصدق وعيد الله، وبتحقق عقوبته في الظالم ويجنبه الوقوع في البغي، والظلم، والحسد، ويجنبه خسران الدنيا بارتكاب الآثام ومن الخسران في الآخرة بدخول النار، والعذاب فيها.

إنّ من منهج الأنبياء في التحصين لأولادهم زرع خلق الحياء في البنات خاصة عند اضطرارهن للعمل مما لابد منه، والسعي في كفايتهن، وتزويجهن بالكفؤ

(21) جامع البيان، الطبري (8/ 325).

الصالح يظهر هذا فيما قصه الله من خبر صاحب مدين قيل: هو شعيب عليه السلام[22] فإن موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون لأنفسهم، ولمواشيهم، فاسترعاه عليه السلام أمر وهو: أن هناك امرأتين تحبسان غنمهما عن الماء، فغلبته الرحمة والشفقة بهما، فبادرهنّ بالسؤال، ولم يبتدراه فقال: { مَا خَطْبُكُمَا } [القصص: 23] فأجابتاه بالسبب الذي لأجله يذدن لأجله الغنم، والسبب الذي اضطرهن للخروج حتى لا تطول المحادثة مع رجل أجنبي عنهن، فقالتا: { لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ } [القصص: 23] ، فلما انتهى موسى عليه السلام من السقيا ذهبتا إلى أبيهن، فحدثتاه بما رأين من قوة، وأمانة وجدنها في رجلٍ غريب سقى لهما، فأمر إحداهن أن تدعيه: { فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا} [القصص: 25] ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((لم تكن سلفعًا[23] من النساء خرّاجة ولّاجة، قائلةً بيدها على وجهها)).[24] والوقف على استحياء لبيان حال مشيها هو الأظهر لموافقته لأقوال المفسرين، ولكونه الأصل من عدم التقديم والتأخير بين الحال والفعل،[25] وإن كان الوقف على (تمشي) والابتداء بـ(على استحياء) لبيان حال قولها قد أستحسنه البعض وجوّده؛ لكن الأول أجود،[26] ثم هي نسبت الدعوة إلى أبيها، ولم تنسبه إليها حتى لا يظن بها ظناً، وأخبرته بسبب الدعوة وهو تحصيل أجر السقيا حتى يطمئن ولا يرتاع من عاقبة الدعوة، فجاءه عليه السلام، وكانت تمشي وراءه حتى لا تقع عينه على ما لا يحل منها، فكانت توجهه في الطريق بغير القول.[27]

وأشارت إحداهن على أبيها أن تستأجره، وهذا فيه الأخذ بمشورة البنت فيما يصلح حالهم، فإنها أشارت بما يكفيهم مؤونة العمل، والخروج من البيت: {قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأمِينُ } [القصص: 26]. وأخبر نبيُ الله شعيبُ موسى عليه السلام أنه سيزوجه بإحدى ابنتيه باستئجاره للعمل عنده ثماني حجج فإن زاد على ذلك فهو فضل منه لا شرط عليه، فكانت أجرته عليه السلام هو الزواج بإحدى ابنتيه فرضي موسى عليه السلام بالعقد، وبالأجرة؛ وما ذلك إلا لما رأى من تربية حسنة لبناته يرغب فيهن كل شهم غيور.

إن شعيب عليه السلام قد زرع في بناته خلق الحياء، وهو خلق يحمي المرأة حتى وإن اضطرها الحال للعمل خارج البيت، فسيمنعها من الخلطة بالرجال ومزاحمتهم، وكذلك سيمنعها من استدامة محادثة الرجال الأجانب، وكذلك فقد سعى في كفايتهن عن الخروج للعمل بين الرجال باستئجار من يقوم بعملهن مع قلة ما في يده، فقد قدّر حاجته لرجل يستأجره للعمل، وقدر حاجة ابنته للزواج بالكفؤ؛ فاقترح ذلك على موسى عليه السلام فوافق، وصبر على العمل ليظفر بأجرة عمله، وهي المرأة الصالحة، وفيه عرض الزواج على الرجل الصالح مع كونه غريباً فقيراً، وكذلك فيه اشتراط الولي في النكاح فشعيب عليه السلام هو من تولى العقد على ابنته، فهذا المنهج الذي ربى شعيب عليه السلام عليه بناته من الوقاية والتحصين هو منهجٌ ينبغي لكل أب أن ينتهجه مع أبناءه، وبناته.

المطلب الرابع: الواقعية.

إنّ من خصائص منهج الأنبياء عليهم السلام مع أولادهم الواقعية، وأقصد بها: التعامل مع الواقع الحاضر لحال الأولاد بعمل الأسباب الشرعية معهم، وعدم الاعتماد على التصورات المثالية التي لا وجود لها خارج ذهن المتصوّر لها، ومن ذلك: الأخذ بالأسباب التي تقي الأبناء –بإذن الله– من الإصابة بالعين، وحسن تعليمهم التوكل على الله، ويظهر هذا في قصة نبي الله يعقوب عليه السلام فإنّه لما استجاب لأبنائه في أخذهم لبنيامين أخي يوسف عليه السلام؛ ليميروا أهلهم، وليزدادوا كيل بعير، فلما استجاب يعقوب عليه السلام لهم بعد إعطائهم الميثاق له قال: { يَا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ } [يوسف: 67]. فخشي عليهم من العين، وذلك؛ لكثرتهم، مع ما آتاهم الله من الجمال، والصورة الحسنة،[28] فخاف أن تصيبهم أعين الناس بالأذى، فأمرهم عليه السلام بفعل السبب لا بالاعتماد عليه، فما قضاه الله وقدره عليهم لن يغني عنهم ما فعلوه من السبب في رد ما قدره الله عليهم من الشر، وعلّمهم عليه السلام حسن التوكل على الله، وذلك بفعل الأسباب، وإن لم يحصل بها دفع الشر عنهم، فالحكم لله خيره، وشره، لا لغيره، ولم يعلق عليه السلام قلوبهم على السبب، ولا على كونه نبي من أنبياء الله؛ بل علّق قلوبهم بالله وحده، فهو الذي يجب أن يتوكل عليه المتوكلون، وما أمر به يعقوب عليه السلام بنيه من الأخذ بالسبب مع التوكل على الله هو من العمل بالعلم الذي علّمه الله إياه.

ومن الواقعية هو أن يُبتلى الإنسان بتغييب ولده بحجة باطلة، وبحيلة كاذبة، فيفقده المدة الطويلة والليالي المديدة، ولا يملك تجاه هذه المكيدة الباطلة في إخفاء ولده وتغييبه عنه إلا الحزن الشديد، والصبر الجميل، والأمل بالله وحسن الظن به، ففي قصة يعقوب عليه السلام بيان لهذه الخاصية لقد شعر إخوةُ يوسف بعدم ائتمانهم من قبل أبيهم على أخيهم خاصة بعد أن قصّ يوسف عليه الرؤيا، فقد خشي يعقوب على يوسف من إخوته، وقد كان مسراً عنهم هذه الخيفة، فسألوه لماذا لا تأمنا عليه ونحن له ناصحون؟ فاقترحوا أن يسمح بذهابه معهم؛ ليرتع ويلعب، وأكّدوا له حفظهم له بمؤكدات فتظاهر يعقوب بإخبارهم بالسبب المانع، وإن

(22) اختلف المفسرون في المراد به على أربعة أقوال: الأول: أنه شعيب نبي الله، وعلى هذا أكثر المفسرين، وفيه أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم يدل عليه، وبه قال وهب بن منبه ، ومقاتل، الثاني: أنه يثرى قاله ابن عباس، الثالث: أنه رجل من قوم شعيب قاله الحسن، الرابع: أنه يثرون ابن أخي شعيب قاله أبو عبيدة بن عبدالله بن مسعود والسائب. ينظر: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (6/ 96). قال ابن جرير الطبري في جامع البيان (224/18): " وهذا مما لا يدرك علمه إلا بخبر، ولا خبر بذلك تجب حجته، فلا قول في ذلك أولى بالصواب مما قاله الله جل ثناؤه ".

قلت: فلما كان القول الأول هو قول أكثر المفسرين، والأثر فيه –وإن كان لا يصح سنده– فيبقى قول له وجاهته، وقال به كثير من السلف؛ فلأجل ذلك آثرت ذكره مع الأنبياء عليهم السلام.

(23) الجريئة القليلة الحياء. ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري (220/3).

(24) جامع البيان، الطبري (18/ 219)، وإسناده صحيح ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (228/6).

(25) المكتفى في الوقف والابتدا، أبو عمرو الداني (ص156).

(26) منار الهدى في بيان الوقف والابتدا، الأشموني (123/2).

(27) جامع البيان، الطبري (18/ 221).

(28) جامع البيان، الطبري (273/13).

كانت حقيقته غير ذلك، فأخبرهم بخوفه من أن يأكله الذئب حال غفلتهم عنه، فأخبروه بأنهم خاسرون هالكون إن أكله الذئب خاصة وهم عصبة تمنعه من ذلك، فكأنه لقنهم الحجة، والحيلة التي بها غيبوا يوسف عليه السلام عنه، فلما ذهبوا بيوسف عليه السلام ، واجتمع رأيهم على إلقائه في البئر، نزل التأييد من الله ليوسف بالوحي بحسن عاقبة حاله معهم حتى يطمئن، ويوقن بتأييد الله فيما سيفعلونه به[29] فلما ألقوه في البئر رجعوا إلى أبيهم عشاء يبكون؛ ليكون أخفى لحقيقة بكائهم، وكذبهم الذي ستظهر آثاره على قسمات وجوههم، وظاهر حالهم، فأخبروه بما خاف منه يعقوب عليه السلام حتى يكون أقرب إلى تصديقهم ثم أخبروه بحقيقة ما تكنّه صدورهم من الحسد على أخيهم وهو أنهم عنده من الكاذبين حتى ولو صدقوا في قولهم؛ لمحبته له، ثم برهنوا على حيلتهم الساذجة، وحجتهم الباطلة بدليل كاذب وهو: أنهم جعلوا على قميص يوسف دماً مكذوباً ليس هو دم يوسف، وكذلك ليس على القميص آثار خرق الذئب له؛[30] فلما تبين ليعقوب بطلان الحجة، وكذب الحيلة قال: { بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ } [يوسف: 18] فأخبرهم بحقيقة ما تزينه لهم أنفسهم من الكذب، ولم يسلّم لهم بصدق دعواهم هذه، ثم اختار كمال الصبر، وهو الصبر الجميل أي: الذي لا جزع فيه، ولا شكوى فيه إلى الناس،[31] وسأل اللهَ العون على ما وصفوه من الكذب، وعلى احتماله.

وقد تأثّر يعقوب عليه السلام بفقد ابنه يوسف عليه السلام ، ولم تُنسه طول المدة، ومصيبة فقد ابنيه الآخرين من ذكراه والتأسّف عليه؛ بل زاده ذلك حزناً وبكاءً، حتى أثّر ذلك على بصره؛ فابيضّت عيناه بسبب ذلك وقد كان عليه السلام كاظماً ممسكاً لحزنه من الشكوى لغير الله، فلما رأى أبناؤه ما حصل لأبيهم قالوا: لا تزال تذكر يوسف حتى تمرض، ويفسد عقلك، وتهرم، أو تموت فأخبرهم عليه السلام بأمرين: بعدم بث شكواه وحزنه إلا إلى الله، وبعلمه من الله ما لا يعلمونه فقد علم عاقبة رؤيا يوسف من السجود له، وذلك يقتضي سلامته، وعَلم من رحمة الله، وقدرته ما لا يعلمونه: { وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ * قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ* قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ} [يوسف: 84 – 86].

ولم يكتف نبي الله يعقوب عليه السلام بذلك؛ بل بذل السبب الذي به يمكن إيجاد يوسف فأمر بنيه بتحسّس أخباره، وبذل الوسع في إيجاده، وعدم اليأس من رحمة الله، وفرجه، فإنّ اليأس من ذلك ليس من صفات المؤمن؛ بل هي من صفات الكافرين الذين لا يرجون الله في الشدائد: {يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ } [يوسف: 87].

وأخيراً فهذا المنهج الواقعي الذي سلكه نبي الله يعقوب عليه السلام عند فقد أبناءه هو المنهج الأمثل فيمن ابْتُلي بفقد أولاده، وإبعادهم عنه بحجّة باطلة، وبحيلة كاذبة.

المطلب الخامس: المشاركة والتفاعل:

إنّ من خصائص منهج الأنبياء عليهم السلام المشاركة والتفاعل وأعني بها مشاركة الأب مع أولاده وتفاعله معهم في حياتهم، والاعتراف بقدراتهم، وتفوقهم، وعدم استصغارها، وعدم الاكتفاء بالتنظير والأحادية في التعامل، وهذه الخاصية نجدها عند الأنبياء عليهم السلام، فهذا نبي الله داود عليه السلام قد وهب اللهُ له سليمانَ عليه السلام قال تعالى: { وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ} [ص: 30]، وآتى اللهُ سليمان عليه السلام العلم كما آتى أباه داود عليه السلام قال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ } [النمل: 15] .

وفي حادثة وقعت تدل على تفهيم الله لسليمان عليه السلام الحكم ما لم يفهّمه أباه داود عليه السلام ، وإن كان قد آتاهما الله الحكم، والعلم قال تعالى: {وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ } [الأنبياء: 78 – 79]. وقد روى المفسرون هذه القضية، وملخصها: أنّ رجلين اختصموا إلى داود عليه السلام أحدهما صاحب حرث، والآخر صاحب ماشية، فادعى صاحبُ الحرث على صاحب الماشية أنّ ماشيته دخلت حرثه وقت الليل فأفسدته، فحكم داود عليه السلام على صاحب الماشية أن يسلّم لصاحب الحرث ماشيته عوضاً عما أتلفته من الحرث، فلقيهما سليمان عليه السلام فسألهما عن الحكم، فأخبراه، فقضى فيه بقضاء دلّ على فهمه للقضية فهماً هو أرجح من فهم داود عليه السلام ، وإن كان حكم داود عليه السلام في القضية جائزاً، فقضى بأنّ يُسلّم صاحب الماشية لصاحب الحرث ماشيته ينتفع بمنافعها عاماً في مقابل ما فاته من منافع حرثه، وأنّ على صاحب الماشية أن يُصلح ما أفسدته ماشيته من الزرع، فإذا استكمل زرعه سلّمه لصاحب الحرث وأخذ ماشيته، فأبلغ داود عليه السلام بهذا الحكم، فأقره ورضاه.[32] وفيه اعتراف الأب بصواب ابنه، وأن لا يمنعه ما رآه صواباً من ابنه أن يرجع إليه، ويسلم فيه للحق والصواب، وفيه كذلك حسن تعامل سليمان مع حكم أبيه داود فلم يخطئه، ولم يعيبه، ولم ينتقصه وهذا الأدب في تعامل الأب مع ابنه، والابن مع أبيه أولى أن يتحلى به من كان في مثل حالهما من الولاية أو أقل، فلا يمنع الأبُ من قبول الحق والصواب أن كان من ابنه، ولا يمنع الابنُ من عدم قبول الباطل والخطأ أن كان من أبيه، فالحق هو المقصد، والمطلوب.

ومن المشاركة والتفاعل في منهج الأنبياء عليهم السلام ما كان من نبي الله إبراهيم عليه السلام فقد تشارك هو وابنه إسماعيل عليه السلام في بناء البيت قال تعالى: {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إنّك أنت السّميعُ العليم} [البقرة: 127]. قال ابن عباس رضي الله عنهما (ت65هـ) عن إبراهيم عليه السلام وفيه:

(29) النكت والعيون، الماوردي (13/3).

(30) معالم التنزيل، البغوي (222/4).

(31) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (96/3).

(32) ينظر: جامع البيان، الطبري (321/16)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي (645/5)، موسوعة التفسير المأثور، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية (14/ 589).

"ثم جاء بعد ذلك–أي إبراهيم عليه السلام –، وإسماعيل يبري نبلًا له تحت دوحة[33] قريبًا من زمزم، فلما رآه قام إليه، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد، والولد بالوالد، ثم قال: يا إسماعيل إنّ الله أمرني بأمر قال: فاصنعْ ما أمرك ربك قال: وتعينني؟ قال: وأعينك قال: فإنّ الله أمرني أن أبني ها هنا بيتا وأشار إلى أكمة[34] مرتفعة على ما حولها قال: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة، وإبراهيم يبني حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له، فقام عليه وهو يبني، وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان: {رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إنّك أنت السّميعُ العليم }قال: فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت، وهما يقولان: {رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إنّك أنت السّميعُ العليم }".[35] فقد تشاركا في البناء لبيت الله والدعاء بالقبول، وبالثبات على الإسلام، وبجعل ذريتهما على الإسلام، وبأن يريهم مناسكهم، وبأن يتوب عليهم، فأي أثر عميق يحدثه مثل هذا في الابن، وأي مُثُل عليا يبنيها الأب في ابنه، وهذا ما يميز منهج الأنبياء عليهم السلام مع أولادهم عن منهج غيرهم من البشر.

ومن المشاركة والتفاعل كذلك ما كان من نبي الله يعقوب عليه السلام مع ابنه يوسف عليه السلام فقد شارك يوسف رؤياه مع أبيه فقصها عليه فقال: {إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ } [يوسف: 4] فتفاعل معها أبوه عليه السلام وفهّمه اللهُ تأويلَها، فأرشده إلى ما فيه نجاته من حسد الإخوة فقال: {قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ } [يوسف: 5] وفي ذلك دلالة أن إخوته علماء في تعبير الرؤيا، لأنهم لو كانوا لا يعرفون تأويلها، ولا علموا تعبيرها لم يكن لينهاه عن أن يقصها على إخوته،[36] فلم يمنعه ذلك من أن يدل ابنه على ما ينفعه، وعلى ترك ما يضره حتى ولو كان التحذير من أقرب الناس إليه، فإنّ ذلك من النصيحة، وليست من القطيعة.

المطلب السادس: الغاية المثلى:

إنّ مما يميز منهج الأنبياء عليهم السلام مع أولادهم هو أنّ لمنهجهم غاية مثلى يسعون لبلوغ أولادهم إليها، والمقصود بالغاية المثلى هي تحقيق العبودية لله عز وجل؛ ولأجل هذه الغاية استسهلوا لأجلها كل صعب ويسّروا لها كل عسير، وكثّروا لأجلها كلّ قليل، وقلّلوا لأجلها كلّ كثير، ولبسوا لأجلها لبوس الصبر عند المصيبة، ولبوس الشكر عند النعمة، وسدّوا لأجلها كلَّ ذريعة تحرمهم من الوصول إليها، وثبتوا لأجلها ثبوت الجبال الرواسي، فلم يكن منهجهم محصوراً بالدنيا وملذاتها، ولا بالنفس وشهواتها؛ بل هو منهج له غاية مثلى فهذا نبي الله إبراهيم عليه السلام لما أسكن إسماعيل وأمه في واد غير ذي زرع جعل الغاية من فعله ذلك إقامة الصلاة: {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ } [إبراهيم: 37] .

قال الطبري (ت310هـ): "يقول: فعلتُ ذلك يا ربّنا ؛كي تؤدّى فرائضُك من الصّلاة التي أوجبتَها عليهم في بيتك المحرم".[37]

وقد سأل ربّه أن يجعل أفئدةً من الناس تهوي إليهم، وأن يرزقهم من الثمرات؛ لأجل تحقيق مقام الشكر لله: {وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ}.

قال الرازي (ت606هـ): "وذلك يدل على أنّ المقصود للعاقل من منافع الدنيا أن يتفرغ لأداء العبادات وإقامة الطاعات، فإنّ إبراهيم عليه السلام بيّن أنه إنما طلب تيسير المنافع على أولاده؛ لأجل أن يتفرغوا لإقامة الصلوات، وأداء الواجبات".[38]

وقد سأل نبي الله إبراهيم عليه السلام ربه أن يجعله مقيم الصلاة ومن ذريته، ولم يقل: أقيم؛ لما يدل عليه الاسم من الثبوت والاستمرار، و المبالغة ما لا يكون مع الفعل[39]:{رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ} [إبراهيم: 40]. فهذه الغاية التي سألها إبراهيمُ عليه السلام ربَّه من تحقيق إقامة الصلاة؛ لما في الصلاة من القربة بين العبد وربه، ولأنها تجمع أفعال الخير، وفيها منتهى الخضوع والطاعة لله عز وجل ما لا يكون في غيرها من العبادات،[40]ولما في إقامتها من النهي عن الفحشاء.

ونبي الله يعقوب عليه السلام في أصعب اللحظات التي يمر بها الإنسان وهي حالة حضور الموت جمع بنيه فسألهم سؤال مختبر[41] حتى يتأكد من تحقيقهم العبودية لله من بعد موته، فقال لهم: { إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [البقرة: 133].

قال الرازي (ت606هـ): "الآية دالة على أنّ شفقة الأنبياء عليهم السلام على أولادهم كانت في باب الدّين، وهمتهم مصروفة إليه دون غيره".[42]

الخاتمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً وبعد:

فقد توصلت بعد الانتهاء من هذا البحث إلى النتائج والتوصيات التالية:

نتائج البحث:

1/ إن المراد من منهج الأنبياء عليهم السلام مع أولادهم هو مجموع هديهم، وطريقتهم التي ذكرها الله عنهم في كتابه الكريم، وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بهم.

2/ إن الأخذ بما ذكره الله عن الأنبياء في كتابه الكريم يكون على التفصيل الآتي: ما كان الإجماع على العمل به كهديهم في الاعتقاد، وأصول الإيمان، والأخلاق فيجب العمل به، أو كان مما ثبت بطريق صحيح أنّه هدي لهم، ولم يرد في شرعنا

---

(33) أي: شجرة عظيمة. ينظر: النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (2/ 138).

(34) أي: رابية. ينظر: النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (1/ 59).

(35) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب: أحاديث الأنبياء باب: قول الله عز وجل: {وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلا } (4/ 144)، (3364).

(36) تأويلات أهل السنة، الماتريدي (6/ 207).

(37) جامع البيان، الطبري (13/ 698).

(38) مفاتيح الغيب، الرازي (19/ 105).

(39) التفسير البسيط، الواحدي (12/ 491).

(40) تأويلات أهل السنة، الماتريدي (1/ 537).

(41) المحرر الوجيز، ابن عطية (1/ 214).

(42) مفاتيح الغيب، الرازي (65/4).

ما يقرره، ولا ما ينسخه من فروع شريعتهم، فهذا يُقتدى بهم فيها لا من حيث كونه شرع لهم؛ بل من حيث كونه شرع لنا، وشأن الأولاد داخل في ذلك.

3/ إن لمنهج الأنبياء عليهم السلام مع أولادهم خصائص استنبطتها من مجموع الآيات القرآنية وهي خصائص تفرد بها منهج الأنبياء عن غيرهم وهي: الثبات، والتنوع، والوقاية والتحصين، والواقعية، والمشاركة والتفاعل، والغاية المثلى وقد بينت المراد من تلك الخصائص.

4/ إنّ منهج الأنبياء عليهم السلام مع أولادهم هو أبلغ وأكمل المناهج التي يحتاجها المسلمون في كل زمان ومكان.

5/ إنّ أساليب الأنبياء عليهم السلام مع أولادهم هي الدعاء، والقدوة العملية، والإشعار بالأهمية والوصية، والتحذير، وزرع الأمل، وحل المشاكل، وزرع القيم، والأخذ بالأسباب الشرعية في وقايتهم من الشر، والأمر بالتكاليف الشرعية، والمداراة، والصبر، وليس في تلك الأساليب أي أسلوب فيه عنف وقسوة، ولا سب وتجريح.

توصيات البحث:

يوصي الباحث بالتوسع في تناول منهج الأنبياء عليهم السلام في شأن الآباء/ الإخوة/ الزوجات/ في ضوء القرآن الكريم ببيان مفهومه وخصائصه ودراسته دراسة موضوعية

قائمة المصادر والمراجع:

تأويلات أهل السنة، أبو منصور محمد بن محمد الماتريدي، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1426هـ.

التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي، الدار التونسية، تونس، 1984م.

تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة، ط2، 1420هـ.

تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد مرعب، دار إحياء التراث العرب، بيروت، ط1، 2001م.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبدالله التركي وآخرون، دار هجر، ط1، 1422هـ.

الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، (د. ت).

زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1422هـ.

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الأنصاري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ.

صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة السلطانية بالمطبعة الكبرى الأميرية، بولاق مصر، 1311هـ.

فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1414هـ.

الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي، تحقيق: مجموعة من الباحثين، دار التفسير، جدة، ط1، 1436هـ.

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414هـ.

المحرر الوجيز في كتاب الله العزيز، أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقي: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1422،1هـ.

معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، محمد بن حسين الجيزاني، دار ابن الجوزي، الرياض، ط5، 1427هـ.

معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق: عبد الجليل شلبي، دار عالم الكتب، بيروت، ط1، 1408هـ.

المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله وآخرون، دار الحرمين، القاهرة، 1415هـ.

مفاتيح التفسير، أحمد بن سعد الخطيب، دار التدمرية، الرياض، ط1، 1431هـ.

مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.

المكتفى في الوقف والابتدا، أبو عمرو، عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط1، 1427هـ.

منار الهدى في الوقف والابتدا، أحمد بن عبد الكريم الأشموني، تحقيق: عبد الرحيم طرهوني، دار الحديث، القاهرة، 2008م.

موسوعة التفسير المأثور، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية معهد الإمام الشاطبي، جدة، ط1، 1439هـ.

نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن العزيز، أبو بكر محمد بن عُزيز السجستاني، تحقيق: يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1431هـ.

النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات ابن الأثير المبارك بن محمد الشيباني، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، (د.ط)، 1399هـ.

الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ.

List of Sources and References:

tawilat 'ahl alsanati, 'abu mansur muhamad bin muhamad al-matridi, tahqiqu: majdi baslum, dar alkutub aleilmiati, bayrut, ta1, 1426AH.

altahrir waltanwira, muhamad altaahir bin muhamad bin eashur altuwnisi, aldaar altuwnusiat, tunis, 1984.

tafsir alquran aleazimi, 'iismaeil bin eumar bin kathir al-dimashqi, tahqiqu: sami salamata, dar tiibati, ta2, 1420AH.

tahadhib allughati, muhamad bin 'ahmad al'azhari, tahqiqu: muhamad mureibi, dar 'iihya' alturath alearabi, bayrut, ta1, 2001.

jamie albayan ean tawil ay alquran, muhamad bin jarir altabri, tahqiqu: eabdallah alturki wakhrun, dar hijr, ta1, 1422AH.

aldir almanthur fi altafsir bialmathur, jalal aldiyn eabd alrahman bin 'abi bakr alsayuti, dar alfikri, bayrut, (du.t), (d. t).

zad almasir fi eilm altafsiri, 'abu alfaraj eabd alrahman bin eali bin aljawzi, tahqiqu: eabd alrazaaq almahdi, dar alkitaab alearabii, bayrut, ta1, 1422AH.

alsihah taj allughat wasihah alearabiat, 'iismaeil bin hamaad al'ansari, tahqiqu: 'ahmad eabd alghafur eatara, dar aleilm

lilmalayini, bayrut, ta4, 1407AH.

sahih albukharii, 'abu eabd allah muhamad bin 'iismaeil albukhari, tahqiqu: jamaeat min aleulama'i, altabeat alsultaniat bialmatbaeat alkubraa al'amiriati, bulaq masr, 1311AH.

fath alqadir aljamie bayn faniyi alriwayat waldirayat fi eilm altafsiri, muhamad bin ealiin alshuwkani, dar abn kathir, dimashqa, ta1, 1414AH.

alkashf walbayan ean tafsir alqurani, 'abu 'iishaq 'ahmad bin 'iibrahim althaelabi, tahqiqu: majmueat min albahithina, dar altafsiri, jidat, ta1, 1436AH.

majmae alzawayid wamanbae alfawayidi, 'abu alhasan eali bin 'abi bakr alhaythami, tahqiqu: husam aldiyn alqudsi, maktabat alqudsi, alqahirat, 1414AH.

almuharir alwajiz fi kitab allah aleaziza, 'abu muhamad eabdalhaq bin ghalib bin eatiat al'andalsi, tahqi: eabd alsalam eabd alshaafi, dar alkutub aleilmiati, bayrut, ta1,1422AH.

maealim 'usul alfiqh eind 'ahl alsunat waljamaeati, muhamad bin husayn aljizani, dar aibn aljuzi, alrayad, ta5, 1427AH.

maeani alquran wa'iierabihu, 'abu 'iishaq 'iibrahim bin alsiriyi alzujaji, tahqiqu: eabd aljalil shilbi, dar ealam alkutab, bayrut, ta1, 1408AH.

almuejam al'awsata, 'abu alqasim sulayman bin 'ahmad altabrani, tahqiqu: tariq bin eawad allah wakhrun, dar alharmayni, alqahirati, 1415AH.

mafatih altafsiri, 'ahmad bin saed alkhatayb, dar altadmuriati, alrayad, ta1, 1431AH.

mafatih alghib, fakhr aldiyn muhamad bin eumar alraazi, dar 'iihya' alturath alearabii, bayrut, ta3, 1420AH.

almuktafaa fi alwaqf walaibtida, 'abu eamrw, euthman bin saeid aldaani, tahqiqu: jamal aldiyn muhamad sharaf, dar alsahabat liltarathi, tanta, ta1, 1427AH.

manar alhudaa fi alwaqf walaibtida, 'ahmad bin eabd alkarim al'ashmuni, tahqiqu: eabd alrahim tarhuni, dar alhadithi, alqahirati, 2008.

musueat altafsir almathuri, markaz aldirasat walmaelumat alquraniat maehad al'iimam alshaatibii, jidat, ta1, 1439AH.

nuzhat alqulub fi tafsir ghurayb alquran aleaziza, 'abu bakr muhamad bin euzyz alsajistani, tahqiqu: yusif almiraeashali, dar almaerifati, bayrut, ta2, 1431AH.

alnukt waleuyunu, 'abu alhasan eali bin muhamad almawirdi, tahqiqu: alsayid bin eabd almaqsudi, dar alkutub aleilmiati, bayrut, (du.t), (da.t).

alnihayat fi gharayb alhadith wal'athra, 'abu alsaeadat aibn al'athir almubarak bin muhamad alshaybani, tahqiqu: tahir alzaawi wamahmud altanahy, almaktabat aleilmiatu, bayrut, (du.ta), 1399AH.

alwsit fi tafsir alquran almajid, 'abu alhasan eali bin 'ahmad alwahidi, tahqiqu: eadil eabd almawjud wakhrun, dar alkutub aleilmiati, bayrut, ta1, 1415AH.